مجلس قيادة الثورة السوريّة.. ما الجديد؟

alaraby.co.uk/مجلس-قيادة-الثورة-السوريّة-ما-الجديد؟

قضايا

حمزة المصطفى

ثوار سوريون في أزقة حلب (7نوفمبر/2014/الأناضول)

± الخط -

أعلن، أواخر شهر نوفمبر/تشرين الثاني المنصرم، عن تشكيل مجلس قيادة الثورة السوريّة، جسماً تنظيمياً يجمع أكبر عدد من الفصائل المسلحة في سورية. ويقف هذا المقال على واقع العمل الثوري المسلح، وتطوراته والمحاولات الاندماجية السابقة، لتوضيح إذا ما كان المجلس المشكل حديثاً يمثل تجربة جديدة، أو نقلة نوعية في مسار الثورة السورية.

ما فتئ السوريون، ومنذ تحولت ثورتهم إلى مسلحة، يطالبون المجموعات المختلفة بالوحدة، وتجاوز منطق الدفاع الذاتي الأهلي إلى العمل العسكري المخطط والمنظم. بعد حادثة جسر الشغور، مطلع يونيو/حزيران 2011، واندفاع شريحة كبيرة من المحتجين إلى رفع السلاح، أعلن المقدم المنشق، حسين هرموش، عن لواء الضباط الأحرار، ليكون واجهة العمل العسكريّ والمؤسسة الجامعة للضباط والمجندين العسكريين المنشقين عن الجيش النظامي. لكن صراع الضباط على تقديم أسبقية الانشقاق، أو الرتب العالية، شرطاً لتولي القيادة، ولَّد أجساماً عسكريّة أخرى، كالجيش السوري الحر (29 يوليو/تموز 2011) بقيادة العقيد رياض الأسعد، ولاحقاً المجلس العسكري الأعلى للجيش الحر (5 فبراير/شباط 2012) بقيادة العميد مصطفى الشيخ، ليكون هيئة تشرف على عمل المجالس العسكرية المكونة في المحافظات. لم تنجح أي من التجارب السابقة،

وساهمت الخلافات بين القادة العسكريّين في ترهل عمل المجلس والعمل العسكري، على المستوى الوطني بشكل عام. كما برزت فصائل إسلامية فاعلة، كأحرار الشام، وصقور الشام، لواء الإسلام وألوية الحبيب المصطفى... إلخ، ولعبت دوراً مهماً في قتال قوات النظام، يفوق في ضراوته وتنظيمه عمل الكتائب المنضوية، أو المرتبطة، بالمجلس العسكري.

جرت أواخر عام 2012 محاولات اندماجية جادة، فأعلن في 12 سبتمبر/أيلول 2012 عن تأسيس جبهة تحرير سورية الإسلامية، وضمت، آنذاك، نحو 20 فصيلاً عسكرياً، أبرزها صقور الشام، ولواء التوحيد ولواء الإسلام. في المقابل، أعلن في 22 ديسمبر/كانون أول 2012 عن تشكيل الجبهة الإسلامية السوريّة، وضمت أكثر من 10 فصائل عسكرية، أبرزها: أحرار الشام، ولواء الحق في حمص، وجماعة الطليعة الإسلاميّة، وحركة الفجر الإسلاميّة (اندمجت لاحقاً في حركة أحرار الشام). وعلى الرغم من التقارب الفكري والتشابه التنظيمي بين الجبهتين، فإن مما ميزهما انضمام فصائل الأولى إلى هيئة الأركان المشتركة، في حين رفضت الثانيّة ذلك، وفضلت العمل المستقل على التواصل مع مؤسسات المعارضة السوريّة. غداة الإعلان عن تشكيلها، في ديسمبر/كانون الأول 2012، أمل من هيئة الأركان المشتركة أن تكون مشروعاً عسكرياً جامعاً ينسق بين الفصائل، وينتج قيادة عسكرية على المستوى الوطني، ويوحد قنوات الدعم المادي والعسكري، لكن طريقة عمل قيادة الهيئة لم تختلف عن تجارب سابقة، لجهة الارتجالية وغياب التخطيط والنظرة المستقبلية، واقتصر نشاطها على توفير السلاح، بحده الأدنى للفصائل المرتبطة معها، فتحولت لجهة
مانحة وقناة دعم ليس إلا. ونتيجة لذلك، وللتغيرات الإقليمية في الملف السوريّ، منتصف العام 2013، نأت فصائل كثيرة فاعلة عن هيئة الأركان، واختارت الانضواء في مشروع سياسي وعسكري، ضم فصائل الجبهتين السابقتين، أعلن عنه (22 نوفمبر/تشرين الثاني 2013) تحت مسمى جديد "الجبهة الإسلاميّة".

حاول الجسم الجديد أن يمايز نفسه عن التجارب السابقة، فوضع سقفاً زمنياً (ثلاثة أشهر منذ إعلان التأسيس) للاندماج الكامل بين فصائله الرئيسة (حركة أحرار الشام، وألوية صقور الشام، وجيش الإسلام، ولواء التوحيد، ولواء الحق، وكتائب أنصار الشام، والجبهة الإسلاميّة الكردية)، كما طرح، ولأول مرة مشروعاً سياسياً، سماه "مشروع أمة"، حدد أهدافه وغاياته. وعلى الرغم من الجهود المبذولة، وزيادة مستوى التنسيق، فإن مشروع الجبهة الإسلاميّة لم يكن أوفر حظاً من المشاريع السابقة، فقد مضى على إعلانه عام، من دون أن يحقق أهدافه التي طرحها عسكرياً، أو سياسيًا، لأسباب عدة، في مقدمتها مقاومة الفصائل مسعى الوحدة، وخلافات قادتها حول أولويات العمل العسكري والسياسيّ، أيضًا، والتباينات والاختلافات الفكرية. وتدريجياً، تحولت الجبهة الإسلاميّة إلى مشروع خاص بحركة أحرار الشام، لا سيما بعد اندماج لواء الحق والجبهة الإسلامية الكردية ضمنها.

مبادرة واعتصموا: صرخة لاستعادة البعد الوطني

منتصف عام 2014، بدا المشهد العسكريّ السوريّ مقسما بين ثلاثة مشاريع. أولها؛ مشروع جهادي أممي، يعبر عنه تنظيمان من منبت واحد، يتصارعان في المشروع، هما داعش الذي أعاد تنظيم صفوفه، بعد هزيمته، مطلع العام الجاري، واستغل الزخم المعنوي في العراق لتوسيع نفوذه في سورية. والنصرة التي قادت قيادتها الجديدة تحولاً غير سلوكها ونهجها وأولوياتها. وثانيها: مشروع إسلامي تمثله الجبهة الإسلاميّة، وترتبط به فصائل أخرى فاعلة، مثل الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وألوية الحبيب المصطفى، يتفق في العنوان حول إقامة دولة إسلامية، ويختلف على الطريقة والتوقيت والمنهج... إلخ. وثالثها: مشروع محلي: تمثله فصائل الجيش الحر المتناثرة في الجغرافيا السوريّة (جبهة ثوار سورية، حركة حزم، فيلق الشام، شهداء اليرموك، المجالس العسكرية). وعلى الرغم من البعد الوطني (الثوري) لهذا المشروع، إلا أنه افتقد المرجعية التنظيمية، بعد حادثة الهجوم على مستودعات الأركان، فبقيت فصائله مرتبطة بغرف العمليات العسكرية في تركيا والأردن.

كان ينظر للانقسام والتشرذم، خلال عامي 2011 و2012، على أنه يؤخر انتصار الثورة، لكنه، وبعد تغيير موازين القوى لصالح النظام، منتصف عام 2013، جرى التعامل معه كأحد الأسباب الرئيسية للهزائم المتتالية التي منيت بها المعارضة المسلحة، والذي قد يؤدي إلى هزيمة الثورة وفكرتها ككل. تأسيساً على ما سبق، ظهرت نداءات على مستوى مناطقي، تطالب الفصائل بالاندماج والوحدة، لمواجهة الأخطار المحدقة بالثورة، ولا سيما في مدينة حلب، فجرى تأسيس غرف مشتركة، وحصلت اندماجات عدة، لكنها لم تستطع إيقاف تمدد النظام والميليشيات المرتبطة به، فجاءت مبادرة "واعتصموا" 3 أغسطس/آب 2014، صرخة أطلقها مشايخ دين وطلاب العلم الشرعي، وفي مقدمتهم الشيخ حسين الدغيم، لجمع الفصائل السوريّة، على اختلاف مشاربها، على أهداف مشتركة، وضمها في مجلس واحد، وانتخاب قيادة سياسية تمثلها.

مثلت المبادرة، ظاهرياً، أكبر اجتماع للفصائل السوريّة، فقد جمعت، لأول مرة، فصائل في الجبهة الإسلامية وفصائل إسلامية أخرى، كالاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وغالبية فصائل الجيش الحر (جيش المجاهدين، جبهة حق، كتائب شهداء سورية، نور الدين الزنكي، حركة حزم، فيلق الشام، الفرقة 13، ألوية الأنصار، الفرقة 101). واستطاعت لجنة المتابعة، وعلى الرغم من العقبات الكثيرة، أن تضع المبادرة الشفوية موضع التطبيق العمليّ، بجمع الفصائل الموقعة، وفصائل أخرى جديدة، في اجتماع عقد في مدينة غازي عنتاب التركيّة 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014، وانبثق منه مجلس قيادة الثورة السوريّة، وانتخب قيس الشيخ رئيسا له.

ما الجديد؟

شكليا، لا يختلف المجلس الجديد عن التجارب الاندماجية السابقة، إذ يقوم على النيات الحسنة، ورغبة الفصائل الظاهرية في الاندماج والوحدة، ضمن جسم تنظيمي موحد. لكن، ما يميز المجلس أن القائمين عليه، وعلى الرغم من أن بيانه التأسيسي يحث الفصائل على الاندماج والوحدة، يقرون بصعوبة هذا الاندماج، وينطلقون من واقعه، ولا يطمحون، آنياً، لنسفه أو تجاوزه، بل في التقليل من مضاره وتداعياته. لذلك، جرى اعتماد مبدأ تمثيل الجبهات، وليس تمثيل الفصائل. كما أنه يهدف، وبخلاف ما يظهر في البيان التأسيسي، للتنسيق على المستوى السياسيّ التكتيكي، أكثر منه على المستوى العسكري الميدانيّ. فالمشهد السوريّ مزدحم بالمبادرات السياسيّة، وكان جديدها طرح المبعوث الدوليّ، ستيفان دي ميستورا، تجميد القتال في مدينة حلب السوريّة. وبناء عليه، فإن مجلس قيادة الثورة الجديد يعي واقع التشرذم، وصعوبة التوحد الفصائلي، لكنه يحاول أن يكون منبراً سياسياً للكتائب، لجهة اتخاذ موقف موحد مما يطرح.

ولعل المتمعن في البيان التأسيسي يدرك أنه انطلق من مسلمات وأهداف عامة، تشترك عليها جميع الفصائل (إسقاط النظام، استقلالية القرار السوري، العدالة، الحرية، سيادة القانون، رفض الممارسات الخاطئة وظاهرة التكفير... إلخ)، وتقصد تجاهل القضايا الإشكالية، كالدولة الديمقراطية أو تحكيم الشريعة، الموقف الواضح من الائتلاف، التحالف الدولي وغيرها.

وأخيرًا، وبالنظر إلى التباينات الفصائلية القائمة، وتراجع حضور فصائل الجيش الحر في مقابل ازدياد نفوذ جبهة النصرة، فإنه من الصعوبة بمكان القول إن المجلس يشكل نقلة نوعيّة في مسار العمل المسلح السوريّ، من دون أن يعني ذلك تبخيس جهود القائمين عليه، ومساعيهم الحثيثة، في توفير ما يلزم لزيادة التنسيق بين الفصائل المسلحة على المستوى الوطني، وتجاوز البعد المناطقي أو الأيديولوجي، وحل خلافاتها المعقدة، أو التخفيف منها، والتشاور للوصول إلى مواقف سياسية موحدة، أو جامعة.

دلالات

- حزب البعث
- اللاجئون السوريون
- الدكتاتورية

حمزة المصطفى

مقالات أخرى

الأكثر تفاعلا

لميس أندوني

[لماذا تعادي هذه الأنظمة شعوبها؟](#)

30 يوليو 2023

محمد أبو رمان

[الأردن نحو الديمقراطية أم السلطوية؟](#)

30 يوليو 2023

عمر كوش

[هل من أصابع روسية في انقلاب النيجر؟](#)

30 يوليو 2023

عمار ديوب

["قصة سجين" والنزيف السوري](#)

30 يوليو 2023

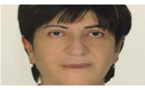

رندة حيدر

[إسرائيل والتحذيرات من الحرب الأهلية](#)

30 يوليو 2023

حسام كنفاني

إنه وقت الفرجة

---

30 يوليو 2023

سليماني وبريغوجين وجهان لعمْلةٍ تكاد تكون واحدة

آراء

دلال البزري

± الخط =

الأول قاسم سليماني، إيراني، عسكري سابق. والثاني، يفغيني بريغوجين، روسي، مقاول ولائم. من الجيل نفسه. أربع سنوات تفصل بينهما. سليماني هو ابن "الحرس الثوري"، الذي أنشأه الخميني غداة الثورة الإسلامية، بسبب ريْبته من جيشه الرسمي، ووريث الشاه. فكان رئيسا لفيلق القدس، المنبثق من هذا "الحرس". وبريغوجين ابن بوتين غير الرسمي، لقبه طبّاخ بوتين. ورئيس شركة خاصة، عسكرية، اسمها فاغنر. ولا نعلم إن كانت الريبة الخمينية نفسها تجاه الجيش الروسي هي التي جعلت بوتين يشرف على نشأتها، ويأمر وزارتي الدفاع والمالية بتمويلها؛ على الأقل في بدايتها، كما في حالة فيلق القدس. ولكن المؤكد أن الاثنين، "الشركة" و"الفيلق" تحوّلا، بفضل هذه الحظوة "الحكومية"، إلى بؤر ثراء.

وبحسب كل الوقائع التي كانا بطليها، يقوم الاثنان بمقاولات في الباطن لصالح دولتيهما. مقاولات فريدة من نوعها، فهما يتزعمان تنظيمين مسلّحين غير شرعيين، غير رسميين. وغرضهما دعم سياسة بلديهما عبر تكوين مليشيا واحدة، في حالة بريغوجين، أو مليشيات من مختلف الجنسيات في حالة سليماني. وما حاجة دولتين، الأولى نووية، والثانية في الطريق إليها... ما حاجة كل منهما إلى مليشيا؟ الأرجح أنها من ضرورات تغطية أعمال إجرامية تقودها هاتان الدولتان خارج أراضيهما، من دون أن تخضعا لأوجاع رأس القوانين والمعاهدات الدولية بشأن الحروب.

في الظاهر، يبدو سليماني نقيضا وجدانيا لبريغوجين، فهو حامل عقيدة ملالي إيران الشيعية، فيما نظيره من دولة ليست دينية بالمعنى المتعارَف عليه. لكن اللقاء "الفكري" يتجاوز ذلك. فبريغوجين قومي روسي، على طريقة بوتين. أي أنه يجمع بين كنيسة أرثوذكسية موالية لبوتين وحسْرة على أمجاد روسيا الإمبراطورية، السوفييتية منها والقيصرية. فيما الأول سليماني، فوق "دينيته"، ممتلئ كبرياءً بعظمة حضارة فارسية قديمة، يودّ هو أيضاً، مع وقادته، إعادتها إلى مجدها السابق. وهذا تشابه قليل أمام المحرِّك "الفكري" المشترك بين الاثنين. أعني تلك الأولوية الممْنوحة لكراهية مطلقة، أساسية، جوهرية، ضد الغرب وأميركا، ضد "الإمبريالية الرأسمالية النيوليبرالية"، أو "العوْلمة التكنو-رأسمالية المتوحشة"، كما يتفلْسف متحمّسون "أولويون".

ومن أجل هذه الغاية "النبيلة"، يشترك المرتزقة الذين أنشأهم الاثنان في كل الحروب التي تخوضها دولهما. في سورية، التقيا للدفاع عن بشّار الأسد. وبعد سورية، أو قبلها، كانت لكل واحد منهما أدوار مماثلة. اعتقاداً لدى قادة الدولتين الداعمتين لهما أن هذه التدخّلات العسكرية تحمي "المجال الحيوي" لكليهما. أي تمنحهما، بعبارتٍ أخرى، توسُّعا هما بحاجة إليه لبعث إمبراطوريتهما المفقودة. ومع أن جماعة سليماني تتنافس مع جماعة بريغوجين على فوسفات سورية ونفطها، وما يمكن أن يُشلَّح من خيراتها، مقابل خدمة عرش الأسد ... غير أنهما لا يتصارعان، فهما تابعان لدولتين متحالفتين.

> وسائل فيلق القدس و"فاغنر"، هي القتل، القتل بالأسلحة البيض وبالفظائع، وبحرية مطلقة

مم تتألف قوات "فاغنر" وقوات "فيلق القدس"؟ "فاغنر" لمّت شَتاتاً رثاً من سجناء سابقين، أخرجهم بوتين منها، مقابل خدمتهم المغرية لأعماله الإجرامية، حول العالم. وللوهلة الأولى، يبدو ذلك فرقاً بينها وبين "فيلق القدس"، الذي يجنّد على أساس مذهبي، لا على أساس السجل العدلي. في المقابل، أينما وُجد شيعة، في المشرق، نجح سليماني بتنظيم أبنائه، وتأسيس مليشيات موالية لإيران، تعمل على أجندته بضميرٍ حيّ. يبدو هنا وكأن ثمّة فرقاً بين الاثنين: ولكن في الواقع لا. فسليماني اختار رجاله من بين الضعفاء في أوطانهم، وأفهمهم أن عزّتهم من عزّته. كما حصل في لبنان، حيث بدا حزب الله، صنيعة سليماني، أنه يرفع من شأن الشيعة اللبنانيين إلى ما لم يكونوا يحلمون به في ظل نظام طائفي، همّشهم. أما مليشيا "الفاطميون"، الأفغانية، العاملة هي الأخرى في سورية، فهي مؤلفة من مهجّرين أفغان شيعة، هربوا من بلدهم ولجأوا إلى إيران. وخضعوا لابتزاز سليماني، بأنهم إذا انضموا إلى مليشيات الإقليم، سوف ينالون شيئاً من كثيرٍ حرموا منه في لجوئهم.

سليماني وبريغوجين ابنا دول فاسدة، تنتمي إلى محور الدول الاستبدادية، تضم، فوق روسيا وإيران، كلا من كوريا الشمالية وسورية طبعاً، فوق عدد من الدول "المائلة" إليه، مثل الهند والبرازيل، تقودهم كلهم الصين التي يتشبّث حزبها "الشيوعي" الحاكم بأساليب ستالين التعسفية. وهذا محور صاعد، يهزّ الكيانات الضعيفة، ويلتهم روحها.

أما وسائل "الفيلق" و"الشركة"، فهي القتل. والقتل بالأسلحة البيض وبالفظائع، وبحرية مطلقة. رجال بريغوجين اشتهروا بالقضاء على سجنائهم بالمطْرقة. يضربون بها، ويضربون... حتى الموت. فيما رجال سليماني أبدعوا في الأشكال من الموت والحصار والتهجير في سورية. وإذا كان مصير سليماني هو القتل، وعلى يد أعدائه الأميركيين، فإن بريغوجين، بعد تمرّده على بوتين، مهدّد هو الآخر بالقتل، ولكن على الطريقة الروسية؛ أي التسْميم بلا أثر .. ولكن التشابه الأعمق بين سليماني وبريغوزين يقع في قلب الميدان.

> في سورية، التقى مرتزقة فاغنر وفيلق القدس للدفاع عن بشّار الأسد. وبعد سورية، أو قبلها، كانت لكل واحد منهما أدوار مماثلة

عودة إلى بضعة أيام خلت: لماذا تمرّد بريغوجين على بوتين وجيشه، بعدما كان "يخدم" أهدافه بغزو أوكرانيا خير خدمة؟ ولماذا كان محور خلافه معه أداء الجيش الروسي في أوكرانيا، ونقده بعنف، وإدانة عدم فعاليته، فقدانه الذخيرة، عشوائية خططه...؟ لأن الجيش كانت لديه خطة لإدخال رجاله إليه وإدماجه به، وبموافقة بوتين؛ بمعنى آخر، خطّة سيطرة الجيش على "الشركة". أما لماذا هذه المحاولة للعسكر بتوحيد السلاح الروسي ضمن المؤسّسة الرسمية، فلا نعلم. ربما بحثاً عن احترام دولي، ربما بسبب منافسة الشركة الجيش في الساحة الأوكرانية، أو أي شيء آخر ... والذي يجمع بين سليماني وبريغوجين هو تحديداً ذاك التعلّق بالسلاح المليشياوي. صنيعة سليماني في لبنان، أي حزب الله، بل "صديقه"، وشريكه في حروب خاضها هذا الأخير مع إسرائيل... هذا الحزب يواجه المأزق نفسه الذي عانى منه بريغوجين. أي نزع سلاحه وإدخال عناصره إلى الجيش اللبناني.

قام بريغوجين بتمرّده، فشل في الدفاع عن سلاحه، ودخل المنفى البيلاروسي. أما حزب الله، فهو ما زال على معركته الأولى: سلاحه. وهو الآن مزهوٌّ بقدراته "الإقليمية" التي تسمح له بتدمير لبنان، وإفقار شعبه، والقضاء على مستقبل أبنائه ... مقابل احتفاظه بهذا السلاح.

هل نقرأ مستقبلاً ما في اسمي التنظيمين اللذيْن يقودهما الرجلان؟ سليماني "فيلق القدس"، وبريغوجين "شركة فاغنر"؟ أن يكتب للأول، "فيلق القدس"، مدَداً من فلسطين التي لن تعرف لا دولتين ولا حقوقاً، فيستمر بالازدهار؟ وأن يكون مصير الثاني، من مصير أدولف هتلر، الزعيم الألماني النازي المعجب بريتشار فاغنر، الموسيقار الذي أحيا جنون عظمته؟ وهو اسم لا يبدو منطقياً من البداية على كل حال، إذ يخدم رجال "فاغنر" الغزو الروسي أوكرانيا، تحت شعار "محاربة النازية الأوكرانية". فهل يزول الاسم وشركته من الأرشيف، نظراً لهذا التناقض، أو نتيجة هزيمة بريغوجين في مسعاه للحفاظ على سلاحه، أو أشياء أخرى لا نعلمها؟

دلالات

- الحرس الثوري
- تمرد فاغنر
- الجيش الروسي
- حزب الله

الأكثر تفاعلا

محمد أبو رمان

الأردن نحو الديمقراطية أم السلطوية؟

30 يوليو 2023

حسام كنفاني

إنه وقت الفرجة

30 يوليو 2023

جميع حقوق النشر محفوظة 2023